خواطر مع إشراقة عام هجري جديد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد / سوف تعيش الأمة الإسلامية هذه الأيام إشراقة سنة هجرية جديدة ، وإطلالة عام مبارك بإذن الله، بعد أيام قلائل تفلت شمسُ عام كامل يمضى بأفراحه وأتراحه ، وتصرَّمت أيامه ، ما أسرع مرور الليالي والأيام ! وتصرُّم الشهور والأعوام ! لكن الموفق الملهم من أخذ من ذلك دروساً وعبراً ، يقول أحد الشعراء المعاصرين هذه القصيدة الجميلة في الهجرة النبوية المباركة .

هي رحلةٌ شقّ النبي طريقها

ليلا برغم مكائد الإشراك

يا هجرة الأرواح صوب نعيمها

دور المدينة أشرقت برؤاك

يا طيبة الخيرات نلت مكانةً

حطّ النبي رحاله بثراك

وإليك أمواج الإخاء توافدوا

هجروا الديار و فضلوا مأواك

با قلعة الأنصار فيك ترسخت

للدين دولته وليس سواك

وتبوّأ الشرع القويم محبةً

كل القبائل تهتدي بهداك

يا رحلة النصر المظفر ذكري

جيلاً تضمّخ من عبير شذاك

قلبي من الإجلال يخفق رهبةً

والدّمع جاد بتوبة النسّاك

والنفس من حب الحبيب زكيةٌ

يا نفس مرحى قد بلغت مناك

ما أجمل أن نشير إشارات عابرة لعدد من القضايا المهمة الجديرة بالإشادة والتذكير ونحن مع قرب بداية عام هجري جديد ؛ علها تكون سبباً في شحذ الهمم ، واستنهاض العزمات ، للتمسك الجاد بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحاملة على الاتعاظ والاعتبار ، وقد ذكرها الدكتور عبد الرحمن السديس في أحدى خطبه مفصلة عن هذه الإشارات العابرة وحسبنا أن من أهمها

1. ( حدث الهجرة غير مجرى التاريخ ) وأول هذه الإشارات مع الحدث الذي غير مجرى التاريخ، الحدث الذي يحمل في طياته معاني الشجاعة والتضحية والإباء، والصبر والنصر والفداء، والتوكل والقوة والإخاء، والاعتزاز بالله وحده مهما بلغ كيد الأعداء.

إنه حدث الهجرة النبوية الذي جعله الله سبحانه طريقاً للنصر والعزة ورفع راية الإسلام ، وتشييد دولته وإقامة صرح حضارته ، فما كان لنور الإسلام أن يشع في جميع أرجاء المعمورة لو بقي حبيساً في مهده، ولله الحكمة البالغة في شرعه وكونه وخلقه ، إن في هذا الحدث العظيم من الآيات البينات ، والآثار النيرات ، والدروس والعبر البالغات ، ما لو استلهمته أمة الإسلام اليوم وعملت على ضوئه وهي تعيش على مفترق الطرق ؛ لتحقق لها عزها وقوتها ومكانتها وهيبتها، ولعلمت علم اليقين أنه لا حل لمشكلاتها ولا صلاح لأحوالها ؛ إلا بالتمسك بإسلامها،والتزامها بعقيدتها وإيمانها، فو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق بشيراً ونذيراً ما قامت الدنيا إلا بقيام الدين ، ولا نال المسلمون العزة والكرامة والنصر والتمكين إلا لما خضعوا لرب العالمين ، وهيهات أن يحل أمن ورخاء وسلام إلا بإتباع نهج الأنبياء والمرسلين ، إذا تحقق ذلك - وتذكرت الأمة هذه الحقائق الناصعة، وعملت على تحقيقها في واقع حياتها كانت هي السلاح الفاعل الذي تقاتل به ، والدرع الحصين الذي تتقي به في وجه الهجمات الكاسحة ، والصراع العالمي العنيف، فالقوة لله جميعاً ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ،  عزة الأمة تكمن في تحقيق كلمة التوحيد  ، لقد أكدت دروس الهجرة النبوية أن عزة الأمة تكمن في تحقيق كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة عليها، وأن أي تفريط في أمر العقيدة، أو تقصير في أخوة الدين مآله ضعف الأفراد، وتفكك المجتمع، وهزيمة الأمة .

وإن المتأمل في هزائم الأمم وانتكاسات الشعوب عبر التاريخ ؛ يجد أن مرد ذلك إلى التفريط في أمر العقيدة ، والتساهل في جانب الثوابت المعنوية ، مهما تقدمت الوسائل المادية ، وقوة الإيمان تفعل الأعاجيب ، وتجعل المؤمن صادقاً في الثقة بالله، والاطمئنان إليه ، والاتكال عليه ، لا سيما في الشدائد.

ينظر أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى مواضع أقدام المشركين حول الغار، فيقول: {يا رسول الله! لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرنا، فيجيبه صلى الله عليه وسلم -جواب الواثق بنصر الله-: يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! } الله أكبر! ما أعظم لطف الله بعباده ، ونصره لأوليائه!وفي هذا درس بليغ لدعاة الحق وأهل الإصلاح في الأمة: أنه مهما احلولكت الظلمات فوعد الله آت لا محالة: حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ،

1. ( قوة رابطة الأخوة ) ودرس آخر من دروس الهجرة النبوية يتجلى في أن عقيدة التوحيد هي الرابطة التي تتضاءل أمامها الانتماءات القومية ، والتمايزات القبلية ، والعلاقات الحزبية .

إن طريق الأمة للتبجيل والتكريم مدين بولائها لعقيدتها، وارتباطها بمبادئها ، يُقال ذلك أيها الكرام وفي الأمة في أعقاب الزمن منهزمون كُثُر أمام تيارات إلحادية وافدة ، ومبادئ عصرية زائفة ، تُرفَع شعارات مصطنعة ، وتطلق نداءات خادعة ، لم يجنِ أهلها من ورائها إلا الذل والصغار، والشقاء والبوار؛ فأهواء في الاعتقاد، ومذاهب في السياسة، ومشارب في الاجتماع والاقتصاد، كانت نتيجتها التخلف المهين، والتمزق المشين ، وفي خضم هذا الواقع المزري يحق لنا أن نتساءل بحرقة وأسى: أين دروس الهجرة في التوحيد والوحدة ؟!أين أخوة المهاجرين والأنصار من شعارات حقوق الإنسان المعاصرة ومدنيته الزائفة ؟!فقولوا لي بربكم: أي نظام راعى حقوق الإنسان وكرمه أحسن تكريم ، وكفل حقوقه كهذا الدين القويم ؟!فلتصغ منظماتُ حقوق الإنسان العالمية إلى هذه الحقائق، وتطَّرح الشائعات المغرضة عن الإسلام وأهله وبلاده؛ إن أرادت توخي الصدق والموضوعية ، دروس من مواقف التضحية والفداء في الهجرة إن هذه الإلماحة إلى درس الهجرة في التضحية والبذل والفداء، ومراعاة كرامة الإنسان والحفاظ على حريته وحقوقه يجر -يا رعاكم الله- إلى تذكر أحوال إخواننا في العقيدة، في بقاع شتى من العالم، حيث حلت بهم مصائب وبلايا، ونكبات ورزايا.سائلوا أرض النبوَّات، ومهد الحضارات، ومنطلق الرسالات، وبلاد المعجزات؛ فلسطين المجاهدة: ماذا تعاني من صلف يهودي سافر، ومن حقد صهيوني أرعن ، سائلوا سوريا وفلسطين والعراق وأركان وغيرها عن الأوضاع المأساوية ؟ علَّ دروس الهجرة النبوية تحرك نخوة، وتشحذ همة، وتنهض عزماً، وما ذلك على الله بعزيز.

1. ( حدث الهجرة وتربية النشء) في مجال تربية الشباب والمرأة، وميدان البيت والأسرة، يبرز الأثر العظيم في حدث الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

ففي موقف عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما في خدمة ونصرة صاحب الهجرة عليه الصلاة والسلام -بأبي هو وأمي- ما يجّلي أثر الشباب في الدعوة، ودورهم في الأمة ونصرة الدين والملة ، أين هذا مما ينادي به بعض المحسوبين على فكر الأمة وثقافتها من تخدير الشباب بالشهوات، وجعلهم فريسة لمهازل القنوات، وشبكات المعلومات في الوقت الذي يُعدُّون فيه للاضطلاع بأغلى المهمات بالحفاظ على الدين والقيم والثبات على الأخلاق والمبادئ أمام المتغيرات المتسارعة، ودعاوى العولمة المفضوحة؟  وفي موقف أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها -ورضي الله عن آل أبي بكر وأرضاهم- ما يجلي دور المرأة المسلمة في خدمتها لدينها ودعوتها، فأين هذا من دُعاة المدنية الذين أجلبوا على المرأة بخيلهم ورجلهم، زاعمين -زوراً وبهتاناً- أن تمسك المرأة بثوابتها وقيمها، واعتزازها بحجابها وعفافها؛ تقييد لحريتها وفقد لشخصيتها؟! وبئس ما زعموا ، خرجت المرأة من البيت تبحث عن سعادة موهومة، وتقدمية مزعومة، وهي تظنها في الأسواق والشوارع والملاهي والمصانع، فرجعت مسلوبة الشرف، مدنسة العرض، مغتصبة الحقوق، عديمة الحياء، موءودة الغيرة، وتلك صورة من صور إنسانيات العصر المزعومة، وحريته المأفونة، ومدنيته المدعاة. ألا فليعلم ذلك اللاهثون واللاهثاث وراء السراب الخادع، والسائرون خلف الأوهام الكاذبة

1. ( حدث الهجرة والاعتزاز بالدين ) أيها الأحبة في الله: وإشارة أخرى إلى أمر يتعلق بحدث الهجرة النبوية في قضية تعبر بجلاء عن اعتزاز هذه الأمة بشخصيتها الإسلامية، وتثبت للعالم بأسره استقلال هذه الأمة بمنهجها المتميز المستقى من عقيدتها وتاريخها وحضارتها، إنها قضية إسلامية وسنة عُمَرية .

أجمع عليها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إنها التوقيت والتاريخ بالهجرة النبوية المباركة.وكم لهذه القضية من مغزىً عظيم يجدر بأمة الإسلام اليوم تذكره والتقيد به؟! كيف وقد فُتن بعض أبنائها بتقليد غير المسلمين والتشبه بهم في تاريخهم وأعيادهم؟! أين عزة الإسلام؟! وأين هي شخصية المسلمين؟! هل ذابت في خضم مغريات الحياة؟!فإلى الذين تنكروا لثوابتهم، وخدشوا بهاء هويتهم، وعملوا على إلغاء ذاكرة أمتهم، وتهافتوا تهافتاً مذموماً، وانساقوا انسياقاً محموماً خلف خصومهم، وذابوا وتميعوا أمام أعدائهم.ننادي نداء المحبة والإشفاق: رويدكم، فنحن أمة ذات أمجاد وأصالة، وتاريخ وحضارة، ومنهج متميز منبثق من كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم.فلا مساومة على شيء من عقيدتنا وثوابتنا وتاريخنا، ولسنا بحاجة إلى تقليد غيرنا، بل إن غيرنا في الحقيقة بحاجة إلى أن يستفيد من أصالتنا وحضارتنا؛ لكنه التقليد والتبعية، والمجاراة والانهزامية، والتشبه الأعمى من بعض المسلمين هداهم الله، وقد حذر صلى الله عليه وسلم أمته من ذلك بقوله فيما أخرج الإمام أحمد ، وأهل السنن: {من تشبه بقوم فهو منهم }   
5- ( حدث الهجرة ونصرة الله لأوليائه ) وخامس هذه الإشارات إلى حدث عظيم في شهر الله المحرم، فيه درس بليغ على نصرة الله لأوليائه، وانتقامه من أعدائه مهما تطاول، إنه حدث قديم؛ لكنه بمغزاه متجدد عبر الأمصار والإعصار.

إنه يوم انتصار نبي الله وكليمه موسى عليه السلام، وهلاك فرعون الطاغية، وكم في هذه القصة من الدروس والعبر والعظات والفكر للدعاة إلى الله في كل زمان ومكان؟! فمهما بلغ الكيد والأذى والظلم والتسلط فإن نصر الله قريب، ويا لها من عبرة لكل عدو لله ولرسوله ممن مشى على درب فرعون؛ أن الله منتقم من الطغاة الظالمين، طال الزمان أو قصر!فيوم الهجرة ويوم عاشوراء يومان من أيام النصر الخالدة . ألا فليقر أعيناً بذلك أهلُ الحق ودُعاتُه، فالعاقبة للمتقين، وليتنبه لذلك قبل فوات الأوان أهلُ الباطل ودُعاتُه: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ وإن في الحوادث لَعِبَراً، وإن في التاريخ لَخَبَراً، وإن في الآيات لَنُذُراً، وإن في القصص والأخبار لَمُدَّكَراً ومُزْدَجَراً : لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.   
6- **( حدث الهجرة وفاتحة الشهور والبدء بأفضل العبادة عند الله )** أيها الإخوة في الله: إشارة سادسة إلى فاتحة شهور العام؛ شهر الله المحرم، إنه من أعظم شهور الله جل وعلا، عظيم المكانة، قديم الحرمة ، فيه نصر الله موسى وقومه على فرعون وملئه ، ومن فضائله: أن الأعمال الصالحة فيه لها فضل عظيم، لا سيما الصيام، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل ).وأفضل أيام هذا الشهر - يوم عاشوراء ، في الصحيحين : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه، فقال صلى الله عليه وسلم: نحن أحق بموسى منكم، فصامه صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه ).وفي صحيح مسلم : عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: (أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله ) الله أكبر! يا له من فضل عظيم، لا يفوته إلا محروم!وقد عزم صلى الله عليه وسلم على أن يصوم يوماً قبله مخالفة لأهل الكتاب، فقال صلى الله عليه وسلم: ( لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع ) خرَّجه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. لذا فيستحب للمسلمين أن يصوموا ذلك اليوم اقتداءً بأنبياء الله، وطلباً لثواب الله، وأن يصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده مخالفة لليهود، وعملاً بما استقرت عليه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فياله من عمل قليل، وأجر كبير وكثير من المنعم المتفضل سبحانه!إن ذلك لَمِن شُكْر الله عزَّ وجلَّ على نعمه، واستفتاح هذا العام بعمل من أفضل الأعمال الصالحة التي يُرجى فيها ثواب الله سبحانه وتعالى، والكيِّس الواعي والحصيف اللبيب يدرك أنه كسب عظيم ينبغي أن يتوج به صحائف أعماله. فيا لَفوز المشمرين!نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم بمنه وكرمه.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أعمالنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك.اللهم اجعل حاضرنا خيراً من ماضينا، ومستقبلنا خيراً من حاضرنا إنك خير مسئول وأكرم مأمول ...

**أخوكم / د . عبد الخالق بن سيد بن أحمد أبو الخير**